تفسير ابن كثير

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق إن أعرضتم عما جئتكم به من عند ا تعالى فإني أنذركم حلول نقمة ا بكم كما حلت بالأمم الماضين من المكذبين بالمرسلين { صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود } أي ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما { إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم } كقوله تعالى : { واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه } أي في القرى المجاورة لبلادهم بعث ا إليهم الرسل يأمرون بعبادة ا وحده لا شريك له ومبشرين ومنذرين ورأوا ما أحل ا بأعدائه من النقم وما ألبس أولياءه من النعم ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا : { لو شاء ربنا لأنزل ملائكة } أي لو أرسل ا رسلا لكانوا ملائكة من عنده { فإنا بما أرسلتم به } أي أيها البشر { كافرون } أي لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا قال ا تعالى : { فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق } أي بغوا وعتوا وعصوا { وقالوا من أشد منا قوة ؟ } أي منوا بشدة تركيبهم وقواهم واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس ا { أولم يروا أن ا الذي خلقهم هو أشد منهم قوة } أي أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها وأن بطشه شديد كما قال D : { والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون } فبارزوا الجبار بالعداوة وجحدوا بآياته وعصوا رسله فلهذا قال : { فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا } قال بعضهم وهي شديدة الهبوب وقيل الباردة وقيل هي التي لها صوت والحق أنها متصفة بجميع ذلك فإنها كانت ريحا شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم وكانت باردة شديدة البرد جدا كقوله تعالى : { بريح صرصر عاتية } أي باردة شديدة وكانت ذات صوت مزعج ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق صرصرا لقوة صوت جريه وقوله تعالى : { في أيام نحسات } أي متتابعات { سبع ليال وثمانية أيام حسوما } وكقوله : { في يوم نحس مستمر } أي ابتدأوا العذاب في يوم نحس عليهم واستمر بهم هذا النحس { سبع ليال وثمانية أيام حسوما } حتى أبادهم عن آخرهم واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الاخرة ولهذا قال : { لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى } أي أشد خزيا لهم { وهم لا ينصرون } أي في الاخرة كما لم ينصروا في الدنيا وما كان لهم من ا من واق يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال وقوله D : { وأما ثمود فهديناهم } قال ابن عباس Bهما وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وابن زيد : بينا لهم وقال الثوري دعوناهم { فاستحبوا العمى على الهدى } أي بصرناهم وبينا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح E فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة ا تعالى التي

جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم { فأخذتهم صاعقة العذاب الهون } أي بعث ا عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا { بما كانوا يكسبون } أي من التكذيب والجحود { ونجينا الذين آمنوا } أي من بين أظهرهم لم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم ا تعالى مع نبيهم صالح E بتقواهم D